المنهج التدبري في تفسير القرآن الكريم عند المفسرين

The Contemplative Approach to Interpreting the Holy Quran, according to the commentators

أ.د. هندي عبيد مخلف

الجامعة العراقية - كلية الآداب

Prof. Dr. Hindi Obaid Mukhlif

Iraqi University - College of Arts

hendi_mukhllf@aliraqia.edu.iq

أ.د. توفيق هادي طلال

جامعة الانبار - كلية التربية للبنات

Prof. Dr. Tawfiq Hadi Talal

University of Anbar - College of Education for Girls

edw.dr_tawfeeq@uoanbar.edu.iq

ملخص بحث

يهدف البحث الموسوم بـ (المنهج التدبري في تفسير القرآن الكريم عند المفسرين).

إلى الفهم العميْق والتدبر الواعي في بناء الإيمان، وتقديم خطوات عملية لفهم المعاني الإلهية وتطبيقها في الواقع، مع بيان ضوابط هذا المنهج لضمان الفهم الصحيح بعيداً عن التأويل الباطل وإحياء سنة التدبر في التعامل مع النص القرآني الكريم، والفهم العميق الواعي لآيات الله تعالى وتأصيل قواعد هذا المنهج وبيان أثره في استنباط الهدايات القرآنية وتحويلها إلى طاقة إيمانية وتوجيه السلوك الانساني وتحقيق مقاصد الشريعة الاسلامية، وأن يكون خطوةً نافعةً في سبيل تعميق فهم كتاب الله تعالى والانتفاع به في حياة الفرد المسلم والمجتمع.

Research Summary:

This research, entitled "The Contemplative Approach to Interpreting the Holy Quran, according to the commentators" aims to foster a deep understanding and conscious contemplation in building faith. It presents practical steps for comprehending divine meanings and applying them to reality, while clarifying the principles of this approach to ensure correct understanding, free from false interpretations. It also seeks to revive the practice of contemplation in engaging with the Holy Quranic text, to cultivate a deep and conscious understanding of God's verses, to establish the foundations of this approach, and to demonstrate its impact on deriving Quranic guidance, transforming it into a source of faith, directing human behavior, and achieving the objectives of Islamic law. Ultimately, it aims to be a beneficial step towards deepening the understanding of God's Book and utilizing it in the lives of individual Muslims and society.

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب تبياناً لكل شيء، وهدى ورحمة للمؤمنين، والصلاة والسلام على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

القرآن الكريم هو كتاب الله الخالد، ومعجزته المستمرة، ولم ينزله سبحانه وتعالى لمجرد التلاوة ونيل الأجر والثواب فحسب، بل جعله دستوراً للحياة، ومنهاجاً للهداية، والسبيل الأساسي للوصول إلى هذه الهداية هو التدبر. والتدبر هو الغاية الأسمى من نزول القرآن، كما قال تعالى: {كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ}.وقد شهدت المكتبة الإسلامية عبر العصور تنوعاً ثرياً في مناهج المفسرين؛ فمنهم من ركز على الجوانب اللغوية، ومنهم من اعتنى بالأثر، والفقيه ركز على الأحكام. ومع تسارع التحديات المعاصرة وحاجة الأمة إلى العودة لنبع القرآن الصافي، برزت الحاجة الملحة لإبرازمفهوم المنهج التدبري كأداة رئيسية لربط نصوص الوحي بواقع المسلم المعاصر، والانتقال من مجرد فهم المعاني الظاهرة إلى استخراج الهدايات والآثار العملية الكامنة وراء الآيات.

وقد دعا القرآن الكريم إلى التدبر في مواضع كثيرة، لما له من أثرٍ بالغ في إحياء القلب وتعميق الفهم، وربط القارئ بكتاب الله تعالى ربطًا واعيًا مثمرًا.

وتكمن مشكلة البحث في ضعف ممارسة التدبر لدى كثير من الدارسين، والخلط بينه وبين التفسير، فضلًا عن غياب المنهجية الواضحة التي تضبط عملية التدبر وتوجّهها توجيهًا صحيحًا، مما قد يؤدي إلى فهمٍ غير دقيق أو استنباطات بعيدة عن مقاصد النص القرآني.

ويهدف هذا البحث إلى بيان مفهوم المنهج التدبري وضوابطه، وبيان أهميته في فهم القرآن الكريم، والكشف عن أبرز الأخطاء الشائعة في ممارسته، مع تقديم أسس علمية تُسهم في تفعيله بصورة صحيحة، بما يعزز صلة القارئ بكتاب الله تعالى ويُنمّي قدرته على التأمل والفهم.

وتكمن أهمية البحث في كونه يُسهم في إحياء منهج التدبر في التعامل مع القرآن الكريم، ويُعين الدارسين على الجمع بين الفهم الصحيح والتأثر القلبي، بما يحقق الغاية من إنزال القرآن، وهي الهداية والتدبر.

أما منهجية البحث، فتعتمد على المنهج الوصفي التحليلي، من خلال عرض مفهوم التدبر وأدلته، ثم تحليل نماذج من الآيات القرآنية لبيان كيفية تطبيقه، مع الاستفادة من كتب التفسير الموثوقة، وربط ذلك بالقواعد اللغوية والشرعية التي تضبط الفهم الصحيح للنص القرآني.

وأقتضت طبيعة البحث أن يقُسِّم إلى مقدمة ومبحثين.

جاء المبحث الأول: عن مفهوم التدبر وأهميته، أما المبحث الثاني: أنواع التدبروثمرته وآدابه (أمثلة تطبيقيه)،

وختمت البحث بخاتمة بينت فيها أهم النتائج التي توصلت اليها، ثم قائمة بأهم المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها.

المبحث الاول: مفهوم التدبر واهميته

مفهوم التدبر عند اللغويين:

الناظر في كتب اللغة يجد انه لا يخلو كتاب ألف في هذا العلم من التطرق لمدلول كلمة التدبر وما ذاك الا لشيوعها وانتشارها حيث ذكروا ان المادة الاصلية لكلمة التدبر هي(دربر) تدل على معاني متعددة .

جاء في مقاييس اللغة: - التدبر جاء من (الدال والباء والراء) وأصل هذا الباب ان جُله في قياس واحد وهو اخر الشيء وخلفة خلاف قلبه فمعظم الباب ان الدبر خلاف القبل ومن ذلك: دبرتُ الحديث عن فلانٍ اذا حدثت به عنه وهو من الباب ؛ لان الأخر المحدث يريد الاول يجيُ خلفه وقد دَبَرَ يَدُبُر دُبُوراً والدبر نجم سمي بذلك ؛ لانه يدبر الثريا ودابرت فلاناً عاديتة وفي الحديث: (لا تباغضوا، ولا تحاسدو، ولا تدابروا، ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله اخواناً) [1] وهو من الباب وذلك ان يترك كل واحد منهما الاقبال على صاحبة بوجهة[2] والتدبر ان يدبر والدبر من القداح الذي لم يخرج وهو خلاف الفائز وهو من الباب ؛ لانه ولى صاحبه دُبُره والدابر التابع يقال: دَبَرَ دبوراً...[3]

(١) (صحيح مسلم، ص٢٥٥٩_ص٢٥٦٣

(٢) (مقاييس اللغة ابن فارس مادة (دبر) ج٢، ص٣٢٤

(٣) (ينظر في كتاب تدبر القرآن الكريم عبد اللطيف عبد الله التويجري

وفي لسان العرب: - (دبر الامر وتدبره) اي: نظر في عاقبتة وعرف الامر تدبُراً اي: بأخذه فتدبر الكلام اي: النظر في اوله واخره ثم اعادة النظر مرة بعد مرة والتدبر في الأمر: التفكير فيه [١]

في التعريفات: - (التدبُر: عبارة عن النظر في عواقب الامور وهو قريب من التفكر الا ان التفكر تصرف القلب بالنظر في الدليل والتدبُر نعرفة بالنظر في العواقب) [٢]

في روح المعاني: - (اصل التدبُر: التأمل في أدبار الامور وعواقبها ثم استعمل في كل تأمل سواء كان النظر في حقيقة الشيء واجزائه او اسبابة او سوابقة او لواحقة واعقابة) [٣]

في المعجم الوسيط: - (دبَر الامر: ساسة ونظر في عاقبتة وهناك مرادفات أخرى للتدبر مثل: الحرث ويقال حرثت القرآن اي اطلت في دراسته وتدبره ومثل التعقل يقال: تعقلت الشيء اي: تدبرته)[٤].

مفهوم التدبر عند المفسرين:

ان من اهم المسائل التي اعتنى بها العلماء في مصنفاتهم مسألة: تحديد المصطلحات وضبطها لأجل تمييزها عن غيرها فمن خلال البحث في كتب المفسرين لم نجد احداً منهم نص على تعريف التدبر اصطلاحاً وانما عرفه اكثرهم معنى التدبر لغة واكتفوا به .

اما العلماء المتقدمون: فلم يخوضوا بتعريف اصطلاحى خاص منفرد عن التعريف اللغوي، لأن كلمة التدبر من الكلمات الواردة في القرآن الكريم على أصل معناها اللغوي ولم تنتقل الى اصطلاح شرعي جديد فحقيقتها اللغوية متفق على معناها ولم تنتقل الى حقيقة شرعية اخرى مثل: (الصلاة ر والحج) فلم تكن الحاجة تطالب تعريف مصطلح التدبر شرعاً بل يبقى التعريف على الاستعمال اللغوي وبه تفسر الآيات التي ردت فيها هذه الكلمة وإن كان المعنى عند المفسرين اخص من المدلول العام للتدبر عند اللغويين فقد اصبح عند المفسرين يراد به تدبر القرآن فهو يفسر عند الأضافة بما يناسب المضاف اليه مثل: تدبر القرآن او تدبر الكلام او تدبر الكتاب وهكذا: والمفهوم السابق هو الذي سار عليه المفسرون رحمهم الله فإنهم فسروا التدبر على معناه اللغوي وذكروا في كل اية ما يناسب السياق جملة من نصوصهم هم في ذلك يتضح

(١) (لسان العرب ابن منظور، مادة (دبر)، ج٤، ٢٦٨
(٢) (التعريفات، للجرجاني، ص١٦٧
(٣) (روح المعاني، الالوسي، ج٥ ' ٩٢
(٤) (المعجم الوسيط ' مادة دبر، ج١ ' ١٨٣

فيه المراد)[١]

قال الحسن البصري: (وما تدبر اياته الا اتباعه بعلمه)[٢]

قال الطبري: (ليتدبروا حجج الله التي فيه وما شرع فيه من شرائعه)[٣]

عرفه ابن عطية(بأنه النظر في اعقابه وتأويلات الانبياء)[٤]

قال القرطبي: (هو التفكر فيه وفي معانيه)[٥]

قال البيضاوي: (التأمل في معاني القرآن والاستبصار بما فيه)[٦]

قال النسفي: (التأمل والنظر في ادبار الامور وما يؤول اليه في عاقبته)[٧]

قال ابن القيم: (تحديق ناظر القلب الى معانيه وجمع الفكر على تدبره وتعقله)[٨]

عرفة السعدي: (هو التأمل في معانيه وتحديق الفكر فيه وفي مبادئه و عواقبه ولوازم ذلك)[٩]

قال محمد الامين الشنقيطي: (تدبر ايات هذا القرآن العظيم أي تصفحها وتفهمها وادراك معانيها والعمل بها)[١٠]

عرفه عبد الرحمن بن حسن حبنكه الميداني: (بأنه التفكر الشامل الواصل الى اواخر دلالات الكلم ومراميه البعيدة)[١١]

الفرق بين التدبر والتفسير: -

تدور مادة (فَسَرَ) في لغة العرب على عدة معاني منها البيان والكشف والوضوح فالتفسير: تفعيل من الفسر وهو البيان والابانة وكشف المغطى

(١) (ينظر في كتاب تدبر القرآن الكريم عبد اللطيف عبد الله التريجي.
(٢) (مصنف عبد الرزاق، ص ٥٩٨٤
(٣) (جامع البيان في اي القرآن ر الطبري، تحقيق احمد محمد شاكر، ج٢٣ ص١٤٩
(٤) (المحرر الوجيز، لابن عطية، ج٢ ' ص١٦١
(٥) (الجامع لاحكام القرآن، للقرطبي، ج٥ 'ص٢٩٠
(٦) (انوار التنزيل، للبيضاوي، ج١ 'ص ٤٧٨
(٧) (تفسير، النسفي، ج١ 'ص ٢٣٦
(٨) (النفسير القيم، لابن القيم، ج١، ص ٤٥١
(٩) (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ج٣ ' ص١٨٩_ص٣٤٠
(١٠) (اضواء البيان، للشنقيطي، ج٧ ' ص٤٢٩
(١١) (قواعد التدبر الامثل لعبد الرحمن بن حسن حبنكة، ص١٠

قال ابن فارس: - (الفاء والسين والراء كلمة واحدة تدل على بيان شيء وايضاحة)[١]

ويأتي بالتخفيف والتشديد لكن التشديد اهم في الاستعمال[٢]

و به جاء القران كما قال تعالى: {وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا} [٣] اي: بياناً وتفضيلاً[٤]

وعلى ذلك يكون تفسير الكلام، بيانه وايضاحه واظهاره والكشف عن المراد منه[٥]

واجود هذه التعاريف واحسنها ما استخلصه الشيخ محمد بن صالح العثيمين حيث قال في تعريفة اصطلاحاً: (بيان معاني القرآن الكريم) فخرج بالبيان ما كان خارجاً عن حد البيان ككثير من المسائل الفقهية والمسائل النحوية ومبهمات القرآن وغيرها مايوتر في حسب التفسير[٦]

ويخرج بالقرآن: غير كلام الله سبحانه وكلامه لملائكته وكلامه لرسله السابقين والحديث القدسي[٧]

الفرق بين التدبر والتفسير فيما يلي: - [٨]

١ - ان التدبر من اكبر مقاصد التفسير وذلك لان؛ كثيراً من ايات القرآن الكريم هي ايات عظة وعبرة وبيان تلك العبر والعظات من التفسير قطعاً لانه ؛ بيان للمراد من هذه الآيات.

٢ - ان المقصور الاصلي للتفسير هو بيان معاني كلام الله تعالى ومقصود التدبر هو الاتعاظ والاعتبار.

٣ - ان التفسير لا يلزم منه الاتعاظ والعمل فقد يأتي انسان غير مسلم ويفسر معاني القرآن بينما التدبر لابد فيه من الاتعاظ والعمل.

٤ - ان المفسر غرضه العلم بالمعنى والمتدبر غرضه الانتفاع والامتثال علماً وايماناً وعملاً وسلوكاً لذا فإن التفسير يغذي القوة العلمية والتدبر يغذي القوة العلمية والعملية والأيمانية والسلوكية.

(١) (مقاييس اللغة، ابن فارس، ج٤ ' ص٥٠٤
(٢) (تاج العروس، الزبيدي، مادة فسر، ج١٣، ص٣٢٣
(٣) (سورة الفرقان اية: ٣٣
(٤) (جامع البيان، ابن جرير الطبري، ج١٧، ص٤٤٨
(٥) (تفسير القرآن الكريم اصوله و ضوابطه، العبيد، ص١٦
(٦) (تفسير القرآن العظيم، لابن عثيمين، ج١، ص٢٠
(٧) (التفسير اللغوي للقرآن الكريم، للطيار، ص٣٢
(٨) (ينظر تدبر القرآن الكريم عبد اللطيف عبد الله التويجري.

٥ - ان التدبر مأمور به عامة الناس للانتفاع بالقرآن والاهتداء به ولذلك؛ خوطب به ابتداء الكفار في ايات التدبر اما التفسير فمأمور به بحسب الحاجة اليه لفهم كتاب الله تعالى .

٦ - ان التدبر هو الغاية من نزول القرآن لانه؛ باعث على الامتثال والعمل واما التفسير فهو وسيلة للتدبر.

اهمية التدبر: -

التدبر هو المقصد الاساسي من انزال القرآن أي لم ينزل القرأن لمجرد التلاوة اللفظية وانما انُزل ليُفهم ويُعمل به قال تعالى: {كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ}(١)

يوضح ابن كثير ان الله اخبر أن الحكمة من انزال القرآن هي التأمل في معانيه واستنباط هداياته؛ لان ذلك يؤدي الى العمل الصالح(٢)

وذكر ابن القيم التدبر شرط لفهم القرآن فهماً صحيحاً اي التدبر هو الوسيلة التي ينتقل بها القارئ من ظاهر الالفاظ الى

عمق المعاني ويؤكد ابن القيم ان القراءة بلا تدبر لا تحقق المقصود من القرآن قال: (لا شيء انفع للقلب من قراءة القرآن بالتدبر والتفكر)(٣)

التدبر حياه للقلوب وشفاء لها من القسوة اي القلوب تقسو اذا خلت من التفكر في كلام الله قال تعالى: {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا}(٤)

(ويرى القرطبي ان الاية تدل على ان ترك التدبر سبب لأنغلاق القلب عن الهداية)(٥)

والتدبر اساس الهواية والاستقامة اي الهداية القرآنية لا تحقق الا بالتدبر ؛ لان التدبر يظهر أوامر الله ونواهيه وحكمه قال الشاطبي: (ان المقصود الاعظم من انزل القرآن هو العمل به ولا يكون بذلك الا بفهم معانيه)(٦)

(١) (سورة ص: الآية ٢٩
(٢) (ينظر تفسير القرآن العظيم، ابن القيم، ج٧، ص٦١
(٣) (مفتاح دار السعادة، ابن القيم، ج١، ص١٨٧
(٤) (سورة محمد: اية ٢٤
(٥) (الجامع لاحكام القرآن، القرطبي، ج١٦، ص٢٢٣
(٦) (ينظر الموافقات، الشاطبي،ج٣، ص٣٤٨

فضل التدبر: -

التدبر سبب للعمل للعمل بالقرآن قال الزركشي: - (ان التدبر الحقيقي يقود الى الامتثال العملي اي ان التلاوة المجردة لا تكفي ما لم تصحبها استجابة عملية)(١)

والتدبر يورث الخشوع وزيادة الايمان

اي كلما ازداد المؤمن تدبراً ازداد خشوعه وايمانه

قال تعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ)(٢)

يبين ابن رجب الحنبلي ان تدبر القرآن من اعظم اسباب خشوع القلب ورقته(٣)

والتدبر سبب للنجاة في الدنيا والاخرة

أي يصلح السلوك ويقود الى الاستقامة وهي

سبب النجارة قال ابن تيمية: - (تدبر القرآن أصل

كل خير، وتركة اهل كل شر)(٤)

ايات قرأنية تحث على التدبر: -

١ - قوله تعالى: {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا} محمد (الآية: ٢٤)

الدلالة:

انكار على من يقرأ القرآن دون فهم او تآمل وبيان ان ترك التدبر سببه قسوة القلب وانغلاقة عن الهداية(٥).

٢ - قوله تعالى: {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا} (النساء، الآية: ٨٢).

(١) (البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج١، ص٤٧٣

(٢) (سورة الانفال: اية ٢

(٣) (ينظر جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحبلي، ج٢، ص٢٨٤

(٤) (مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج٧، ص٧٩

(٥) (تفسير القرأن العظيم، ابن كثير، تفسير سورة محمد: الاية: ٢٤

الدلالة:

دعوة عقلية للتدبر لاثبات اعجاز القرأن وتناسقة وانه من عند الله سبحانه وتعالى[١]

٣ - قوله تعالى: {كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ} (ص، الآية: ٢٩)

الدلالة:

بيان الغاية الاساسية من انزال القرآن وهي التدبر والاتعاظ لا مجرد تلاوة[٢]

٤ - قوله تعالى: {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِين}(المؤمنون، الآية ٦٨)

الدلالة:

توبيخ المكذبين لان سبب اعراضهم هو عدم تدبرهم للقرآن[٣]

٥ - قوله تعالى: {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ} (الزمر: ٢٣)

الدلالة:

اثر التدبر القلبي في الخشوع والتأثر بالقرأن لا مجرد القراءة اللفظية[٤]

٦ - قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ (ق: ٣٧)

الدلالة:

التدبر يحتاج الى قلب حي وانصات حاضر ووعي متأمل[٥]

أحاديث نبوية تدل على التدبّر: -

١. قال رسول الله ﷺ:

«لا يَفْقَهُ مَن قَرَأَ القُرآنَ في أَقَلَّ مِنْ ثَلاثٍ»[٦]

(١) (جامع البيان في علوم القرأن، الطبري، تفسير سورة النساء: الاية: ٨٢
(٢) (الجامع لاحكام القرأن، القرطبي، تفسير سورة ص: الاية: ٢٩
(٣) (مفاتيح الغيب، الفخر الرازي، تفسير سورة المؤمنون: الاية: ٩٨
(٤) (التحرير والتنوير، ابن عاشو، تفسير سورة ق: الاية: ٣٧
(٥) (تفسيرالقرأن العظيم، ابن كثير، تفسير سورة الزمر: الاية: ٢٣
(٦) (اخرجه ابو داود (رقم١٣٩٤) والترمذي(رقم ٢٩٤٩)

٢. عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال:
قال رسول الله ﷺ:
«اقرؤوا القرآنَ ولا تَنْثُروه نَثْرَ الرَّمْلِ، ولا تَهُذُّوه هَذَّ الشِّعر، قِفوا عند عَجائِبِه، وحَرِّكوا به القلوب»(١)

٣. عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال:
«صلّيتُ مع النبي ﷺ ذاتَ ليلة، فكان إذا مرَّ بآيةِ رحمةٍ سأل، وإذا مرَّ بآيةِ عذابٍ تعوَّذ»(٢)

٤. عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال:
قال رسول الله ﷺ:
«اقرأِ القرآنَ في شهرٍ»
(وفي رواية: «فإنَّ لعينِكَ عليكَ حقًّا»)(٣)

٥. عن عائشة رضي الله عنها قالت:
«كان رسولُ الله ﷺ يقرأ السورة فيرتّلها حتى تكون أطولَ من أطولِ منها»(٤)

٦. عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال:
قال رسول الله ﷺ:
«رُبَّ قارئٍ للقرآنِ والقرآنُ يَلْعَنُه»(٥)

أقوال السلف في التدبّر ومكانته: -

١ - قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام:
«لا خيرَ في قراءةٍ لا تدبّرَ فيها، ولا خيرَ في عبادةٍ لا فقهَ فيها»(٦)

(١) (اخرجه البيهقي في شعب الإيمان (رقم ٢٠٧٣)، وحسّنه جماعة من أهل العلم.
(٢) (اخرجه صحيح مسلم (رقم ٧٧٢).
(٣) (اخرجه البخاري (رقم ٥٠٥٤)، ومسلم (رقم ١١٥٩).
(٤) (اخرجه صحيح مسلم (رقم ٧٣٣).
(٥) (اخرجه الطبراني في الأوسط، وحسّنه بعض أهل العلم.
(٦) (حليه الاولياء، ابو نعيم الاصبهاني، ج١، ص٦١

٢ - قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه:
«لا تَهُذُّوا القرآنَ هَذَّ الشِّعر، ولا تَنْثُروه نَثْرَ الدَّقَل، قِفوا عند عجائبه، وحَرِّكوا به القلوب»(١)

٣ - قول الحسن البصري رحمه الله: «نزل القرآن ليُتَدبَّر ويُعمل به، فاتّخذ الناسُ تلاوته عمَلًا»(٢)

٤ - قول عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «لقد عِشنا برهةً من دهرنا، وإن أحدَنا ليؤتى الإيمان قبل القرآن، فتُنزل السورة، فيتعلّم حلالها وحرامها، وما ينبغي أن يُوقف عنده منها»(٣)

٥ - قول سفيان الثوري رحمه الله: «إنما نزل القرآنُ ليُفهم ويُعمل به، فاتخذوا تلاوته عملًا»(٤)

٦ - قول الإمام ابن القيم رحمه الله: «التدبّرُ هو تحديقُ ناظر القلب إلى معاني القرآن، وجمعُ الفكر على تعقّلها»(٥)

٧ - قول الإمام الآجُرّي رحمه الله: «ينبغي لمن قرأ القرآن أن يتدبّره فيعرف مراد الله منه»(٦)

٨ - قول عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: «ركعتان في تفكّرٍ خيرٌ من قيام ليلةٍ بلا قلب»(٧)

٩ - قول مجاهد بن جبر رحمه الله: «لا يكونُ الرجلُ فقيهًا حتى يرى للقرآن وجوهًا»(٨)

١٠ - قول قتادة بن دعامة السدوسي رحمه الله: «إن هذا القرآنَ لم يُنزَل ليُتلى، ولكن ليُتدبَّر ويُعمل به»(٩)

١١ - قول الإمام مالك بن أنس رحمه الله: «إنما العلمُ معرفةُ دين الله، والعملُ به، وفهمُ كتابه»(١٠)

---

(١) (شعب الأيمان، البيهقي، ج٢، ص٥٥٨
(٢) (جامع بيان العلم وفضله، ابن عبد البر، ج٢، ص١١٩
(٣) (المستدرك على الصحيحين، الحاكم، ج١، ص٩١
(٤) (جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، ج٢، ص١٨٦
(٥) (مدارج السالكين، ابن القيم (ج١، ص٤٥٠
(٦) (أخلاق حملة القرآن، آلاجري، ج١، ص٣٦
(٧) (حلية الأولياء، ابو نعيم الاصبهاني ج١، ص ٣٢٨
(٨) (المصنف، ابن أبي شيبة، ج٧، ص١٧٣.
(٩) (جامع البيان، الطبري، ج١، ص٨٠.
(١٠) (جامع بيان العلوم وفضله، ابن عبد البر، ج١، ص٤١.

١٢ - قول الإمام الشافعي رحمه الله: «كلُّ ما أنزل الله في كتابه، فإنما أنزله ليُفهم»[١]

١٣ - قول الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: «الناسُ أحوجُ إلى فهم القرآن منهم إلى كثيرٍ من الحديث»[٢]

١٤ - قول أبي سليمان الداراني رحمه الله: «إني لأقرأ الآيةَ فأبقى فيها أربعَ ليالٍ أو خمسًا، ما لم أفهمها»[٣]

١٥ - قول الإمام الغزالي رحمه الله: «المقصود من القراءة التدبّر، والتفهّم، لا تحريك اللسان»[٤]

المبحث الثاني: انواع التدبر وثمراته وآدابه (امثلة تطبيقية)

انواع التدبر: -

اولاً التدبر القلبي: -

هو حضور القلب وانشغاله بمعاني القرآن والانفعال بها بحيث يشعر المتدبر بتوجيه الله له ويقوده الى خشوع وخضوع و اخلاص في العبادة دون الاقتصار على النطق بالالفاظ او الفهم العقلي فقط[٥]

خصائص التدبر القلبي: - [٦]

١ - حضور القلب: لا يكفي مجرد نطق الكلمات بل يجب
ان يكون القلب حاضراً و متأثراً.

٢ - الانفعال النفسي: يشعر القارئ بتأثير القرآن على مشاعره وسلوكه.

٣ - التفاعل الروحي: ينعكس على الأيمان واليقين
والخشوع من العبادة

(١) (مناقب الشافعي، البيهقي، ج١، ص٤٦٩.
(٢) (مناقب الإمام أحمد، ابن الجوزي، ج١، ص١٨٢.
(٣) (حلية الاولياء، أبو نعيم الأصبهاني، ج٩، ص٢٥٦.
(٤) (احياء علوم الدين، الغزالي، ج١، ص٢٨٤.
(٥) (الكتشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، دار المعرفة، بيروت، ج١، ص٥١٧
(٦) (احياء علوم الدين، الغزالي، دار المعرفة، بيروت، ج١، ص٢٨٧

فوائد التدبر القلبي: -

١ - يعمق الايمان واليقين(١)

٢ - يوقظ القلب من الغفلة ويمنحه الحياة الروحية(٢)

٣ - يجعله أكثر تأثراً بالايات والهداية(٣)

امثلة عن التدبر القلبي في القرآن الكريم: -

قوله تعالى: {أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلى قُلُوبٍ أَقْفالُها} (٤)

قال ابن القيم: يوضح الله في هذه الاية اهمية الانفعال القلبي بالايات(٥)

وقوله تعالى: . {أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمۗ مَّا خَلَقَ} (٦)

قال الغزالي: هذه الاية تربط بين التدبر القلبي ووعي النفس. (٧)

ثانياً التدبر العقلي: -

هو التأمل العقلي في معاني القرآن وفهم الفاظه واستنباط الاحكام والعبر وتحليل المقاصد الشرعية مع مراعاة السياق التاريخي والدلالي للايات(٨)

اهم خصائص التدبر العقلي: - (٩)

١ - التحليل والاستدلال: التركيز على استخراج المعاني والاحكام.

٢ - الربط بالمقاصد الشرعية: فهم الحكمة من الايات وتطبيقها في الحياة .

٣ - النظر في السياق: دراسة سبب النزول والسياق التاريخي والاجتماعي .

---

(١) (مدارج السالكين، ابن القيم، دار الكتاب العربي، ج١، ص٤٥٢

(٢) (احياء علوم الدين، الغزللي، دار المعرفة، بيروت، ج١، ص ٢٨٨

(٣) (لطائف المعارف، ابن رجب الحنبلي، دار ابن كثي، دمشق، ص٢٧٢

(٤) (سورة محمد اية: ٢٤

(٥) (مدارج السالكين، ابن القيم، ج١، ص٤٥٢٨

(٦) (سورة الروم اية: ٨

(٧) (احياء علوم الدين، الغزالي، ج١، ص٢٧٨

(٨) (التحرير والتنوير، ابن عاشور، دار العلم، تونس، ج١، ١١٢

(٩) (على طريقة التفسير البياني، فاضل السامرائي، دار عمار، عمان، ص٢٣

فوائد التدبر العقلي: - [١]

١ - يعزز الفهم الصحيح للشرح

٢ - يحمي من الاجتهادات الخاطئة او الفهم الجزئي

٣ - يساعد على ربط النص بالواقع المعاصر

امثلة قرآنية في التدبر العقلي: -

قوله تعالى: : {وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}[٢]

قال الدكتور فاضل السامرائي: (تبين الاية التدبر العقلي والتفكير في الكون)[٣]

قوله تعالى: : {أَفَلَا يَعْقِلُونَ}[٤]

قال الزمخشري: تحث الاية على استخدام العقل في فهم الحقائق[٥]

ثالثاً التدبر العملي: -

هو ترجمة معاني القرآن الى اعمال وسلوكيات يومية بحيث يصبح الفهم والتأثر بالقلب دافعاً للامتثال والتطبيق العملي لاحكام الدين وتعاليمة[٦]

خصائص التدبر العملي:

١ - التطبيق العملي لما تدل على الايات.

٢ - يشمل العبارات والمعاملات والسلوكيات.

٣ - يتطلب الاستمرارية والمثابرة.

فوائد التدبر العملي: -

١ - يقود الى الاستقامة والنجاح في الدنيا والاخره[٧]

٢ - يصحح السلوك الفردي والاجتماعي[٨]

(١) (الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، دار المعرفة، بيروت، ج١، ٥١٨

(٢) (سورة ال عمران: اية ١٩١

(٣) (على طريقة التفسير البياني، فاضل السامرائي، ص٢٣

(٤) (سورة يونس: اية١٠٠

(٥) (الكشاف، الزمخشري، ج١، ٥١٨

(٦) (احياء علوم الدين، الغزالي، دار المعرفة، بيروت، ج١، ص٢٨٩

(٧) (احياء علوم الدين، الغزالي، دار المعرفة، بيروت،ج١، ص٢٩٠

(٨) (مدارج السالكين، ابن القيم، در الكتاب العربي، ج١، ص٤٥٥

٣ - يحقق التوازن بين العلم والعمل[١]

امثلة قرآنية في التدبر العملي: -

قوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ}[٢]

هذه الاية تدبر عملي في تعامل المسلم بالرحمة مع الاخرين.

وقوله تعالى: {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ}[٣]

هذه الآية مثال على تحويل الفهم القرآني الى افعال عملية.

ثمرات التدبر:

ثمرات التدبر على الفرد والمجتمع: -

اولاً: ثمرات التدبر على الفرد: -

١ - زيادة الإيمان وحياة القلب[٤]

التدبّر يوقظ القلب ويزيد الإيمان؛ لأن المتدبّر يعيش مع المعاني ويتفاعل معها خشيةً وإنابة.

٢. الفهم الصحيح للقرآن[٥]

بالتدبّر يتحقق الفقه في كتاب الله، وتُفهم مقاصده وأحكامه، بعيدًا عن القراءة السطحية.

٣. الاستقامة السلوكية والعمل الصالح[٦]

التدبّر الحقيقي يقود إلى العمل؛ لأن من فهم الأمر والنهي انقاد لهما.

٤. الطمأنينة والسكينة النفسية[٧]

القرآن المتدبَّر يمنح القارئ طمأنينة داخلية وسكينة قلبية.

٥. قوة البصيرة وحسن الاختيار[٨]

التدبّر ينمّي الوعي، ويمنح الإنسان بصيرة في المواقف والقرارات.

---

(١) (الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، دار المعرفة، بيروت، ج١، ص٥١٩

(٢) (التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج١، ص١١٢

(٣) (سورة النساء: اية ١٠٧

(٤) (تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج٤، ص٤٩.

(٥) (الموافقات، الشاطبي، ج٣، ص٣٤٧.

(٦) (كما في: ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، الحسن البصري، ج٢، ص١١٩.

(٧) (الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج١٥، ص٣١٦.

(٨) (التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج١، ص٣٩.

ثانيًا: ثمرات التدبّر على المجتمع

١. انتشار القيم الأخلاقية(١)

عندما يتدبّر أفراد المجتمع القرآن، تسود قيم الصدق، والعدل، والأمانة.

٢. تحقيق الإصلاح الاجتماعي(٢)

التدبّر يقود إلى تطبيق الأحكام القرآنية في المعاملات، مما يصلح شؤون المجتمع.

٣. تقليل الظلم والانحراف(٣)

المجتمع المتدبّر للقرآن يكون أبعد عن الظلم؛ لأن القرآن يربي على مراقبة الله.

٤. وحدة المجتمع وترابط(٤)

التدبّر يغرس معاني الأخوّة والتكافل، ويقلل النزاعات والفرقة.

٥. النهضة الحضارية(٥)

التاريخ الإسلامي يشهد أن أعظم فترات القوة كانت حين فُهم القرآن وتُدُبّر وعُمِل به.

شروط التدبّر في القرآن الكريم: -

١. حضور القلب وخلوّه من الغفلة

قال ابن القيم: «لا شيء أنفع للقلب من قراءة القرآن بالتدبر والتفكر، وذلك إنما يتم لمن أقبل عليه بقلبه»(٦)

٢ - فهم اللغة العربية وألفاظ القرآن

قال الزركشي: «لا يتحقق التدبر إلا بفهم ألفاظ القرآن وبلاغتها»(٧)

٣ - التمهّل وعدم العجلة

قال الغزالي: «الإسراع يمنع التفكر، والتمهّل أبلغ في تحريك القلب والفهم»(٨)

(١) (أدب الدنيا والدين، الماوردي، ص١٢١.
(٢) (الموافقات، الشاطبي، ج٢، ص٣٠٢.
(٣) (السياسة الشرعية، ابن تيمية ص١٥.
(٤) (الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج١٠، ص١٧.
(٥) (شروط النهضة، مالك بن نبي، ص٥٧.
(٦) (مدارج السالكين، ابن القيم، ج١، ص٤٥١، دار الكتاب العربي.
(٧) (البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج١، ص١٣، دار المعرفة.
(٨) (إحياء علوم الدين، الغزالي، ج١، ص٢٧٤، دار المعرفة.

٤ - التفاعل القلبي مع معاني الآيات

قال النووي: «ينبغي للقارئ أن يتفاعل قلبه مع الآيات، فهذا من أعظم طرق التدبر»(١)

٥ - العمل بما دلّت عليه الآيات

قال القرطبي: «التدبر الحق ما أثمر طاعة وسلوكًا، وإلا كان مجرد معرفة ذهنية»(٢)

٦ - سلامة القصد من الهوى والتأويل الفاسد

قال السيوطي: «يُشترط في القارئ أن يبتغي به وجه الله، فلا يتأول الآيات بما يوافق هواه»(٣)

آداب التدبر: -

١ - الإخلاص:

هو تجريد القصد لله تعالى عند قراءة القرآن وتدبّر معانيه، ابتغاء فهم مراد الله والعمل به، دون التفاتٍ إلى مدح الناس أو تحصيل منزلة دنيوية.

قال ابن القيم رحمه الله:

«لا شيء أنفع للقلب من قراءة القرآن بالتدبر والتفكر؛ فإنه جامعٌ لجميع منازل السائرين... وإنما يحصل ذلك لمن أخلص القصد لله»(٤)

يدلّ النص على أن ثمرات التدبّر مرتبطة بالإخلاص، إذ لا ينتفع القلب إلا إذا صَدَق القصد.

وقال الإمام الغزالي رحمه الله:

«ومن آداب التلاوة أن يكون القارئ مخلصًا، لا يقصد بالتلاوة غير وجه الله تعالى»

والغزالي يعدّ الإخلاص أصلًا سابقًا على التدبّر، فلا يتحقق التدبّر الصحيح بدونه. (٥)

٢ - الطهارة:

هي تهيئة الظاهر والباطن لقراءة القرآن وتدبّره؛ بتطهير الجسد من الحدث، والقلب من الذنوب والأهواء، تعظيمًا لكلام الله وطلبًا للانتفاع به.

(١) (التبيان في ادب حملة القرأن، النووي، ص٧٣.
(٢) (الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (مقدمة التفسير)، ج١، ص٣٩، دار الكتب.
(٣) (الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ج٢، ص١٨١، دار الفكر
(٤) (مدارج السالكين، ابن القيم، ج ١، ص ٤٥٢
(٥) (إحياء علوم الدين، الغزالي، ج ١، ص ٢٧٨.

الطهارة وأثرها في التدبّر: -

١. الطهارة من الحدث (الوضوء)

قوله تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ (١)

قال ابن كثير رحمه الله: «فيه تعظيمٌ للقرآن، وأنه ينبغي أن يُصان عن أن تمسه الأيدي على غير طهارة»(٢)

٢. تعظيم القرآن بالطهارة

قال الإمام النووي رحمه الله: «يُستحب أن يقرأ القرآن على طهارة؛ لأنه في حال مناجاة الله تعالى»(٣)

والمناجاة تستلزم حضور القلب، وهو لبّ التدبّر.

وقال الامام الغزالي: «ومن اداب تلاوة القرأن الطهارة، واستقبال القبلة، وحضور القلب»(٤)

٣ - الاستعاذة: -

هي لجوء القارئ إلى الله تعالى والاعتصام به من الشيطان الرجيم عند قراءة القرآن؛ حتى يصفو القلب، ويحضر العقل، ويتهيأ لفهم كلام الله والعمل به.

قوله تعالى: {فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ}(٥)

قال الطبري رحمه الله: «أمرَ اللهُ بالاستعاذة عند القراءة؛ لأن الشيطان يشغل القلب عن تدبّر المعاني»(٦)

قال ابن كثير رحمه الله: «الاستعاذة سببٌ لدفع وساوس الشيطان عند قراءة القرآن»(٧)

٤ - البسملة:

هي ابتداء القارئ تدبّره لآيات القرآن بقول: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»؛ استحضارًا لمعونة الله، وتعظيمًا لكلامه، وطلبًا للفهم والهداية والعمل.

(١) (سورة الواقعة: ٧٩

(٢) (تفسير ابن كثير، ج ٧، ص ٥٥٦.

(٣) (التبيان في آداب حملة القرآن، النووي، ص ٦٣.

(٤) (احياء علوم الدين، الغزالي، ج١، ص٢٧٣

(٥) (سورة النحل اية: ٩٨

(٦) (جامع البيان، الطبري، ج ١٤، ص ٢١٤.

(٧) (تفسير ابن كثير، ج ٤، ص ٦٠٣.

قوله تعالى: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ}(١)

قال ابن كثير رحمه الله: «في الآية دليل على استحباب البداءة باسم الله في كل أمر ذي بال»(٢)

قال الإمام الغزالي رحمه الله: «البداءة باسم الله تهيئةٌ للقلب واستحضارٌ لمعاني العبودية»(٣)

٥ - الترتيل:

هو قراءة القرآن بتؤدة وتمهّل، مع تحسين الأداء، وإخراج الحروف من مخارجها، والوقوف عند المعاني بقصد الفهم والاعتبار، لا مجرد الإسراع في التلاوة.

قال تعالى: {وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا} (٤)

الترتيل وسيلةٌ للتدبّر؛ لأن التأنّي في القراءة يفتح باب التفكّر في المعاني، ويعين القلب على الفهم والتأثر، بخلاف العجلة التي تصرف الذهن عن المقاصد.

قال ابن القيم: «الترتيل هو التمهّل في القراءة، وإعطاء الحروف حقّها، وهو أعون شيء على تدبّر القرآن»(٥)

وقال ابن كثير: (٦)«أي اقرأه قراءةً مفسّرةً حرفًا حرفًا، فإن ذلك يكون عونًا على فهم القرآن وتدبّره»

٦ - الخشوع: هو حضور القلب، وسكون النفس، وخضوعها لعظمة كلام الله، مع التأثّر بما يُتلى من وعدٍ ووعيد، وأمرٍ ونهي.

قوله تعالى: {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ}(٧)

وقال سبحانه: {لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا}(٨)

(١) (سورة العلق اية: ١

(٢) (تفسير ابن كثير، ج ٨، ص ٤٤١.

(٣) (إحياء علوم الدين، الغزالي، ج ١، ص ٢٧٦.

(٤) (سورة المزّمّل اية: ٤

(٥) (مدارج السالكين، ابن القيم، تحقيق محمد حامد الفقي، ج١، ص٤٥١.

(٦) (تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، دار

(٧) (سورة الحديد اية: ١٦

(٨) (سورة الحشر اية: ٢١

والخشوع ثمرة التدبّر، وهو في الوقت نفسه شرطٌ لكماله؛ فكلما خشع القلب رقّ وتأمّل، وكلما غفل قسا وانصرف عن المعاني.

قال ابن رجب الحنبلي: «من أعظم أسباب فهم القرآن والخشوع له: حضور القلب عند التلاوة، واستشعار عظمة المتكلّم به»(١)

وقال الغزالي: «ومن آداب التلاوة: الخشوع، وهو تأثّر القلب عند قراءة القرآن، كأنه يخاطَب به»(٢)

٧ - التهيؤ النفسي والقلبي:

أ - التهيؤ النفسي: - هو استعداد الذهن للقارئ اي تجنب الشاغل والانشغال والقدرة على التركيز والتأمل.

ب - التهيؤ القلبي: - استحضار القلب والخشوع والانكسار امام الله وصدق النية لله تعالى.

قال الغزالي: «من اداب التلاوة انت يحضر القلب عند القراءة ويهيئ النفس لتلقي كلام الله تعالى، فإن القلب الغافل لا ينفعه التدبر» (٣)

قال ابن القيم: «التهيؤ للقلب قبل القراءة سبب لنفاذ المعنى الى القلب وحصول التدبر، فإنه من غير حضور قلب لا ينتفع التدبر» (٤)

قال الزركشي: «ينبغي للقارئ ان يهيئ قلبه ونفسه قبل قرائه القرأن ويترك الانشغال، لدفإن ذلك من اعظم اداب التلاوة التي تؤدي الى التدبر» (٥)

امثلة وتطبيقات: -

المثال الاول: نزول القرآن نجوماً

لاشك ان نزول القرآن منجماً على هذا المدى الزمني هو من اقوى العوامل الداعية الى التذكر والتدبر والاستنباط وهكذا فانما نزل القرآن جملة واحدة الى السماء الدنيا ثم انزل بعد ذلك مفرقاً على قلب النبي (عليه الصلاه والسلام) للعلم والعمل قال تعالى في توضيح ذلك {إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي

(١) (جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، ج٢، ص ٤٠٢.
(٢) (إحياء علوم الدين، الغزالي، دار المعرفة، ج١، ص ٢٧٤.
(٣) (احياء علوم الدين، الغزالي، ج١، ص٢٧٤
(٤) (مدارج السالكين، ابن القيم، ج١، ص٤٥٢
(٥) (البرهان في علوم القرأن، الزركشي، ج١، ص٤٥١

لَيْلَةِ الْقَدْرِ} (١)

لذا كانت اهم اسباب تنزيله نجوماً ملخصة عند العلماء المتدبرين في الحكم التالية: -

أ - تحقيقاً لمعاني الفهم والحفظ قال تعالى: {وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا} (٢)

والمراد بالمكث التمهل وعدم العجلة في الحفظ حتى لا يكون الحفظ على حساب الفهم والاستيعاب والوعي بالقرآن ؛ لانه كلما كان التعليم بالجملة دون تفصيل وتدرج صعب الفهم ورسوخ القواعد في النفوس والحياة

ب - تثبيتاً لقلب النبي(عليه الصلاة والسلام) وحمايته امام موجات التشكيك والتكذيب والاستهزاء قال تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا} (٣)

ج - التدرج في الايمان والتربية والتعليم والتشريع بدقة وشحول وانتقال من مرحلة الى اخرى خطوة وخطوة عن طريق تعلم الايمان ثم تعلم القرآن وفق اصول متدرجة من الجزء الى الكل ومن الاية الى السورة ' ومن السورة القصيرة الى الطويلة فلا بد من ثبوت الايمان لتستعد النفوس لتقبل احكام الحلال والحرام .

المثال الثاني: دلالة العقل والحس

للعقل والحس دلالة في فهم القرآن ولا يصح ان يحمل الكلام على ما يخالفها، فأي احتمال يحتملة اللفظ لغة يتصادم مع صريح العقل وسليم الحس، وعلى هذا جرى علماؤنا في فهم كلام الله عز وجل فمن ذلك مبدأ تخصيص العام بدلالة العقل والحس(٤)

في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ﴾(٥)

فأن الصبي والمجنون من الناس حقيقة وهما غير مرادين من العموم بدلالة نظر العقل على امتناع تكليف من لايفهم ولا معنى لتخصيص سوى ذلك

(١) (سورة القدر اية: ١
(٢) (سورة الفرقان اية: ٣
(٣) (سورة الفرقان اية: ٣٢
(٤) (نظرية السياق القرأني، محمود المثنى عبد الفتاح، ص١٣٠
(٥) (سورة ال عمران اية: ٩٧

وكما ان دليل العقل قد يكون مخصصاً للعموم فكذلك دليل الحس، وذلك في قوله تعالى: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ﴾(١)

مع خروج (السماوات والارض) حساً

وكذلك قولة تعالى: ﴿مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ﴾(٢)

وقد اتت على الارض والجبال ولم تجعلها رميماً بدلالة الحس، فكان الحس هو الدال على ان ماخرج عن عموم اللفظ لم يكن مراداً للمتكلم فكان مخصصاً. (٣)

المثال الثالث: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

لاشك أن التحويل في تفسير الآيات القرآنية هو بعموم الألفاظ لا بخصوص الأسباب، وهذا من القواعد المعتبرة عند جماهير المفسرين والفقهاء والأصولين، فقد تنزل الآية القرآنية منزلة الخصوص لسبب ما،

ولكن هذا السبب لا يجعل دلالتها مقصورة على الحادثة التي نزلت بسببها بل يدخل فيها كل ما اتصف بهذه الأوصاف ومثاله قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ} (٤)

قال ابن كثير: (والصحيح أن الآية عامة، وإن صح أنها وردت على سبب خاص، فالأخذ بعموم اللفظ لا بخصوص السبب عند الجماهير من العلماء، والخيانة هنا تعم الذنوب الصغار والكبار: اللازمة والمتعدية) (٥)

المثال الرابع: وظائف التكرار:

ونقف من ذلك على مثال حيوي يجسد اسلوباً من اساليب البلاغة الرفيعة هو منهج التكرار وما يحققه من معاني الاعتبار والتفكر والتهويل، وكلها معان عظيمة ينتظمها التدبر.

والتكرار اسلوب قرآني فريد دال على الاعجاز وضرب من ضروب لتدبر والفهم السياقي للنص القرآني يساعد على التعقل والتثبت والتعمق ويهيئ القارئ للوقوف على المقاصد والتفاصيل

(١) (سورة الاحقاف اية: ٢٥
(٢) (الاحكام في الاصول، الأمدي، ج٢ , ص٣١٤ سورة الذاريات الآية: ٤٢
(٣) (سورة الأنفال الآية: ٢٧
(٤) (تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج١, ص٢٤١
(٥) (تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج١, ص٢٤١

والأساليب والنكت الدقيقة.

ومن هنا لم يكن التكرار الوارد في القرآن الكريم من باب التكرار المذموم .

قال السيوطي: (التكرير وهو أبلغ من التأكيد، وهو من محاسن الفصاحة خلافاً لبعض من غلط) (١)

وليس في القرآن تكرار محض كما قال بعضهم، بل لا بد من فوائد في كل خطاب.

نجاء في القرآن الكريم تكرار قصة موسى عليه السلام في اكثر من سورة وموضع منها من الاعتبار والاستدلال نوعاً غير من النوع الآخر كما يسمي الله ورسوله وكتابه باسماء متعددة فكل اسم يدل على معنى لم يدل عليه الاسم الآخر

وليس في هذا تكرار، بل فيه تنويع الآيات مثل اسماء النبي (عليه الصلاة والسلام) اذا قيل: (محمد، واحمد، والحاشر، والعاقب، والمقضى، وبنبي الرحمة وبني التوبة، ونبي الملحمة) ففي كل اسم دلالة على معنى ليس في الاسم الآخر وان كانت الذات واحدة فالصفات متنوعة .

وقد ذكر الامام السيوطي للتكرار فوائد عدة منها: -

التقرير وقد قيل: ((الكلام اذا تكرر تقرّر))، وقد نبه تعالى على السبب الذي لأجله كرر الأقاصيص والإنذار في القرآن الكريم بقوله: {وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا} (٢)

ومنها التاكيد ويقصد بذلك توكيد المعاني الكبرى كتوكيد معاني التوحيد والنبوة والمعاد ومنها: زيادة التنبيه على ما نبغي التهمة ليكمل تلقي الكلام بالقبول، قال تعالى: {وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ (٣٨) يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ}(٣)

ومنها النظرية والتجديد: اذا طال الكلام وخشي تناسي الأول أعيد ثانيها نظرية له وتجديداً لعهده. ومنه قوله تعالى{ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ} (٤)

(١) (الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، ج٣، ص٢٨٠

(٢) (سورة طه الآية: ١١٣

(٣) (سورة غافر الآيتان: ٣٨،٣٩

(٤) (سورة النحل الآية: ١١٩

ومنها التعظيم والتهويل[١]: نحو قوله تعالى: {الْحَاقَّةُ (١) مَا الْحَاقَّةُ } [٢]

المثال الرابع: تنزيل الآية ودلالات السياق

ونضرب لذلك ثلاثة أمثلة في تنزيل الآية على الواقع، والثاني والثالث في الوجوه والنظائر التي يعد السياق أبرز ضابط

لاختلاف معانيها من نص الى نص .

١ - مثال في تنزيل الآية على الواقع: هو ترتيب الشيء ووضعه «منزلة «[٣] ويفيد التنزيل معاني الرفعة والسمو والتجدد والعلو والحاكية والسلطان وهو يعني: (أن آيات القرآن الكريم حيّةً متجددة تتنزل في كل وقت وحين لمعالجة الوقائع والأحدث عبر مر العصور)[٤]

(والآيات جمع آية وهي: طائفة ذات مطلع ومقطع مندرجة في سور القرآن) [٥]

وتطلق الآية ويراد منها عدة معان منها [٦]

١ - العلامة: قال تعالى: (وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [٧]

٢ - الامر التعجب: قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ [٨]

٣ - العبرة: قال تعالى: {إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} [٩]

٤ - البرهان قال تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ} [١٠]

(١) (الاتقان في علوم القرآن: ج١, ص٢٨٢

(٢) (سورة الحاقة الآية: ١ر٢

(٣) (مقاييس اللغة، ابن فارس: ج٥، ص٤١٧

(٤) (تنزيل الآيات على الواقع رعبد العزيز بن عبد الرحمن الضامر، ص٢٨

(٥) (مناهل العرفان رالزرقاني، ج١، ص ٣٠٢

(٦) (لسان العرب، ابن منظور، ج١، ص٦٢

(٧) (سورة البقرة الآية ٢٤٨

(٨) (سورة المؤمنون الآية: ٥٠

(٩) (سورة البقرة الآية: ٢٤٨

(١٠) (سورة الروم الآية: ٢٢

الخاتمة

وفي ختام هذا البحث، يتبيّن أن المنهج التدبري يُعدّ من أهم الوسائل التي تُعين على فهم القرآن الكريم فهمًا عميقًا يربط بين العلم والعمل، ويُحقق الغاية من إنزال الكتاب العزيز، وهي الهداية والتأثر والتطبيق. فالتدبر ليس مجرد تأمل عابر، بل هو عملية واعية تقوم على النظر في المعاني، واستحضار المقاصد، وربط الآيات بواقع الإنسان وحياته.

وقد خلص البحث إلى جملةٍ من النتائج، من أبرزها: أن التدبر منهج أصيل دعا إليه القرآن الكريم والسنة النبوية، وأنه يختلف عن التفسير من حيث كونه يركّز على التفاعل القلبي والعملي مع النص، مع ضرورة التزامه بضوابط اللغة وأصول التفسير. كما تبيّن أن للتدبر أثرًا بالغًا في إصلاح الفرد والمجتمع، من خلال تعزيز الإيمان، وتقويم السلوك، وبناء الوعي. وأظهر البحث أيضًا أن هناك موانع عديدة تحول دون تحقيق التدبر الصحيح، مثل ضعف المعرفة اللغوية، والانشغال بالدنيا، وغياب المنهجية الواضحة.

وفي ضوء هذه النتائج، يوصي البحث بضرورة العناية بتعليم المنهج التدبري وفق أسس علمية منضبطة، وربطه بكتب التفسير الموثوقة، وتدريب الدارسين على مهارات التأمل والتحليل. كما يُوصى بإدراج التدبر ضمن المناهج التعليمية، وتشجيع الدراسات التطبيقية التي تُبرز نماذج عملية له، فضلًا عن توعية الأفراد بأهمية التدبر في حياتهم اليومية.

وختامًا، فإن العناية بالمنهج التدبري تُعدّ سبيلًا مهمًا لإحياء العلاقة الحقيقية مع القرآن الكريم، واستثمار هداياته في بناء الإنسان والمجتمع، سائلين الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفع به.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.
١ - ادب الدنيا والدين الماوردي، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة١٤١٤هـ
٢ - الاتقان في علوم القرآن، السيوطي، دار الرسالة، دمشق، سنة١٣٩٤
٣ - احياء علوم الدين الغزالي، الغزالي، دار المعرفة، بيروت، سنة١٤٠٦هـ
٤ - الاحكام في الاصول، الامدي، المكتب الاسلامي، دار ابن حزم، سنة١٤٠٤_١٤٢٤
٥ - اخلاق حملة القرآن، الاجري، دار الصفا والمروة، القاهرة، سنة٢٠٠٥م
٦ - أضواء البيان، الشنقيطي، ، دار الفضيلة، الرياض، سنة١٤١٥
٧ - البرهان في علوم القرأن، الزركشي، دار المعرفة، بيروت
٨ - تاج العروس، الزبيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة١٤٠٣هـ
٩ - التبيان في ادب حملة القرآن، النووي، دار ابن حزم، بيروت، سنة ١٤١٤هـ
١٠ - التحرير والتنوير، ابن عاشور، دارالعلم، تونس، سنة١٤٠٤
١١ - تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، دار طيبة، مكة المكرمة، سنة١٤٢٠هـ
١٢ - التعريفات، الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، سنة١٤٠٣
١٣ - التفسير القيم، ابن القيم، تحقيق احمد اويس الندوي، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة١٩٧٨م
١٤ - تفسير القرآن العظيم، ابن القيم، دار الهلال، بيروت، سنة١٤١٠هـ
١٥ - تفسير القرآن العظيم، ابن عثيمين، مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، الرياض، سنة١٤٢٠هـ
١٦ - التفسير اللغوي للقرآن الكريم، الطيار، دار ابن الجوزي، الرياض، سنة١٤٢٢هـ
١٧ - تنزيل الايات على الواقع، عبد العزيز بن عبد الرحمن الضامر، جائزة دبي الدولية للقرأن الكريم، دبي، سنة١٤٢٨
١٨ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، دار ابن الجوزي، الرياض، سنة١٤٢٢

١٩ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، دار ابن حزم، بيروت، طبعة حديثة، ٢٠٢٣م
٢٠ - جامع البيان في تأويل القرأن، ابن جرير الطبري، دار الفكر، بيروت، سنة١٤٠٣هـ
٢١ - جامع بيان العلم وفضله، ابن عبد البر، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة ١٣٩٨هـ
٢٢ - جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، دار ابن كثير، بيروت، سنة١٤٣٢هـ
٢٣ - حلية الاولياء، ابو نعيم الاصبهاني، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة١٤١٠هـ
٢٤ - روح المعاني، الالوسي، دار احياء التراث العربي، بيروت، الطبعة١، سنة١٤٠٣
٢٥ - رياض الصالحين، النووي، دار الكتب العلمية، بيوت، سنة١٤٠٨هـ
٢٦ - زاد المعاني، ابن القيم، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة١٤١٤
٢٧ - صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار احياء التراث العربي، بيروت
٢٨ - الصحاح، الجوهري، دار الفكر، بيروت، سنة١٤٠٠
٢٩ - السياسة الشرعية، ابن تيمية، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة١٤١٤هـ
٣٠ - شعب الايمان، البيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة١٤٢١
٣١ - شروط النهضة، مالك بن نبي، دار الفكر، دمشق، سنة١٩٧٩م
٣٢ - على طريقة التفسير البياني، فاضل السامرائي، دار عمار، عمان، سنة١٩٨٤م
٣٣ - الفوائد ابن القيم، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة ١٤١٣هـ
٣٤ - قواعد التدبر الأمثل، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، سنة١٤٣٠هـ
٣٥ - الكشاف، الزمخشري، دار المعرفة، بيروت، سنة٢٠٠٢م
٣٦ - لطائف المعارف، ابن رجب الحنبلي، دار ابن كثير، ، دمشق، سنة١٤٢٩هـ
٣٧ - مجمع الفتاوى، ابن تيمية، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة١٤٠٣هـ
٣٨ - المحرر الوجيز، ابن عطية، ، دار ابن حزم، بيروت، سنة٢٠٠٢م
٣٩ - مدارج السالكين، ابن القيم، دار الكتاب العربي، بيروت، سنة١٤١٩هـ
٤٠ - المستدرك على الصحيحين، الحاكم، ، دار المعرفة، بيروت، سنة١٤١٠هـ
٤١ - المصنف، ابن ابي شيبة، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة١٤١٣هـ
٤٢ - المصنف، عبد الرزاق الصنعاني، تحقيق حبيب الاعظمي، المجلس العلمي، الهند، ط٢ سنة ١٤٠٣

٤٣ - لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، سنة١٤١٤هـ
٤٤ - مفاتيح الغيب، الفخر الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة١٤١٤هـ
٤٥ - مفردات ألفاظ القرآن، الأصفهاني، دار العلم، بيروت، سنة١٤١٢هـ
٤٦ - مفتاح دار السعادة، ابن القيم، دار ابن حزم، بيروت، ط٢، سنة٢٠٠٤م
٤٧ - مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، سنة ١٩٧٩م
٤٨ - مناهل العرفان، الزرقاني، مطبعة عيسى الحلبي، القاهرة، سنة١٣٦٢هـ
٤٩ - مناقب الشافعي، البيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة١٤٠٥هـ
٥٠ - مناقب الإمام أحمد، ابن الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة١٤١١هـ
٥١ - مقدمة أصول التفسير، ابن تيمية، دتر المعارف، القاهرة، سنة١٤٠٩هـ
٥٢ - موافقات، الشاطبي، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة٢٠١٨م
٥٣ - نظرية السياق القرآني، محمود المثنى عبد الفتاح، دار وائل، عمان، سنة٢٠٠٨م